

The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذَا اليَوْم
Christmas – Part 3	عيدُ الميلاَدِ المَجِيدِ الجُزء 3 والأخير
#D-20091225	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 496
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشكُّ سميث

[المُقَدِّمة] (مُقَدِّم البرنامج)

أهلاً ومرحباً بك، صديقي المُستمع، في حلقةٍ خاصَّةٍ من البرنامج الإذاعيّ "الكَلِمَة لِهَذَا اليَوْم". لقد استمعنا في الحلقتين السابقتين إلى الجزئين الأول والثاني من قصة ولادة مُخلِّص العالم يسوع المسيح. وسوف نتابع الاستماع في هذه الحلقة إلى الجزء الثالث والأخير من أروع وأعظم قصة عرفتها البشريَّة. فهي القصة التي غيرت مسار التاريخ البشريِّ بمُجمَلِه!

وقبل أن نستمع إلى رسالة اليوم، نتمنى لك، عزيزي المُستمع، عيداً مجيداً حافلاً بالبركة والخير. ونُصلي أن تكون هذه الرسالة سبباً في حدوثٍ تغييرٍ مجيدٍ في قلبك من خلال قبول يسوع رباً ومُخلِّصاً لِحياتك.

والآن نترككم، أعزآءنا المُستمعين، مع الجزء الثالث والأخير من قصة ولادة يسوع المسيح يسردُها لنا الرَّاعي "تشكُّ سميث".

[العظة] (الرَّاعي "تشكُّ سميث")

ما زلنا، يا أحبائي، في أجواء عيد الميلاد المجيد الذي يُذكرنا بمولد مُخلِّص العالم يسوع المسيح. وقد رأينا في الحلقتين السابقتين كيف أن الملاك جبرائيل ظهرَ لمريم العذراء وأخبرها أنها ستحبلُ حبلاً مُعجزياً من رُوح الله، وأنها ستلدُ طفلاً تُسميه يسوع، وأن هذا الطُفل سيكون عظيمًا، وابن العليُّ يُدعى، ويُعطيه الرَّبُّ الإلهُ كرسيَّ داودَ أبيه، ويملكُ على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهايةٌ. وقد رأينا أيضًا كيف أن ملاك الرَّبِّ ظهرَ ليوسفَ (خطيب مريم) وقالَ له: "يا يوسفُ ابنَ داودَ، لا تخفُ أن تأخذَ مريمَ امرأتك. لأنَّ الذي حبلَ به فيها هو من الرُوح القدس. فسُتلدُ ابنًا وتدعو اسمَه يسوع. لأنَّهُ يُخلِّصُ شعبَهُ من خطاياهم".

وفي ذلك الزمان، أصدرَ القيصرُ أغسطسُ مرسومًا يقضي بإحصاء سگان الإمبراطوريَّة. فذهبَ الجميعُ لِيُسجَلُوا، كُلُّ واحدٍ إلى بلدته. ويحدِّثنا البشيرُ لوقا عمَّا حدثَ آنذاك فيقول: "فصعدَ يوسفُ أيضًا من الجليل من مدينته النَّاصِرة إلى اليهوديَّة، إلى مدينته داودَ التي تُدعى بيت لحم، لكونه من بيت داودَ وعشيرته، ليكتتبَ مع مريمَ امرأته المخطوبة

وَهِيَ حُبْلَى. وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. فَوَلَدَتْ ابْنَهَا الْبَكْرَ وَقَمَطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمَدُودِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزَلِ".

وَقَدْ كَانَ مَجِيءُ يَسُوعَ إِلَى الْأَرْضِ تَثْمِيمًا لِلْبُوءَاتِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ. فَقَدْ تَنَبَّأَ أَنْبِيَاءُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ أَنَّ الْمَسِيحَ سَيُولَدُ مِنْ عَدْرَاءَ، وَأَنَّهُ سَيُولَدُ فِي بَيْتِ لَحْمٍ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ مُحْتَقَرًا وَمَرْفُوضًا مِنَ النَّاسِ، وَأَنَّ أَحَدَ أَصْدِقَائِهِ سَيَخُونُهُ مُقَابِلَ ثَلَاثِينَ قِطْعَةً مِنَ الْفِضَّةِ. وَقَدْ نَبَّأُوا عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ سَيُصَلَّبُ وَيَمُوتُ وَيَقُومُ ثَانِيَةً. وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ يَسُوعَ تَمَّ مِنْ خِلَالِ مَجِيئِهِ إِلَى الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ نَحْوِ ثَلَاثِمِئَةِ لُبُوءَةٍ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ. وَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ، يَا صَدِيقِي، فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَسِيحَ الْمَوْعُودَ. وَقَدْ كَانَ خَيْرٌ وَلَادِيَهُ مُبْهَجًا لِكَثِيرِينَ. وَيَا لَهَا مِنْ هَدِيَّةٍ وَعَطِيَّةٍ وَهَبَةٍ رَائِعَةٍ مِنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ لِلْإِنْسَانِ!

وَنَقْرَأُ فِي الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ مِنْ إِنْجِيلِ مَتَّى الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِيَّةَ عَنْ وَلَادَةِ يَسُوعَ: "وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: هُوَذَا الْعَدْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّاوُئِيلَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللَّهُ مَعَنَا". أَجَلْ يَا صَدِيقِي! فَالْكَلِمَةُ الْعِبْرِيَّةُ "عِمَّاوُئِيلَ" تَعْنِي: "اللَّهُ مَعَنَا". فَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ أَنَّهُ سَيَأْتِي يَوْمًا وَيَسْكُنُ مَعَ الْإِنْسَانِ. وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمَ قَبْلَ نَحْوِ أَلْفِي سَنَةٍ عِنْدَمَا وُلِدَ الطِّفْلُ يَسُوعَ.

وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَحْصَلَ الْإِنْسَانُ عَلَى هَدِيَّةٍ هُوَ فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَيْهَا! وَلِأَنَّ اللَّهَ الْعَلِيِّ هُوَ الْخَالِقُ، فَقَدْ نَظَرَ إِلَى الْإِنْسَانِ وَأَدْرَكَ بُؤْسَهُ وَشَقَاءَهُ وَعَجْزَهُ عَنْ حَلِّ مُشْكَلاتِهِ. لِذَلِكَ فَقَدْ أَرْسَلَ الْحَلَّ الْمُنَاسِبَ وَالْوَحِيدَ الَّذِي يَحُلُّ مُشْكَلاتِ الْإِنْسَانِ مَرَّةً وَإِلَى الْأَبَدِ.

وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي تَجَسَّدَ اللَّهُ فِيهِ وَجَاءَ إِلَى الْأَرْضِ، كَانَ الْإِنْسَانُ قَدْ جَرَّبَ حُلُومًا كَثِيرَةً لِمُشْكَلاتِهِ. فَالْإِنْسَانُ فِي بَحْثٍ دَائِمٍ عَنِ الْفَرَحِ، وَالسَّعَادَةِ، وَالطَّمَأْنِينَةِ، وَالسَّلَامِ، وَالْحُرِّيَّةِ. وَقَدْ جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْأَرْضِ لِيُقَدِّمَ الْعِلَاجَ الشَّافِي لِمَرَضِ الْخَطِيئَةِ الْمُمِيتِ. وَكُلُّ مَا يَطْلُبُهُ الرَّبُّ مِنَّا هُوَ أَنْ نَفْتَحَ بَابَ قُلُوبِنَا لَهُ، وَأَنْ نَسْمَحَ لَهُ بِالْدُخُولِ إِلَى حَيَاتِنَا وَإِجْرَاءِ التَّغْيِيرَاتِ اللَّازِمَةِ.

لِذَلِكَ، فَإِنَّ الطِّفْلَ الَّذِي وُلِدَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ مُعَلِّمٍ أَوْ فَيْلسُوفٍ أَوْ مُصْلِحِ اجْتِمَاعِيٍّ أَوْ حَتَّى نَبِيٍّ. فَالطِّفْلُ يَسُوعُ هُوَ ابْنُ اللَّهِ (بِالْمَعْنَى الْمَجَازِيَّةِ). وَهُوَ مُخَلَّصُ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ. فَقَدْ جَاءَ يَسُوعُ لِكَيْ يُبْرِهِنَ عَلَيَّا عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ الْآبِ لَنَا. فَالْإِنْسَانُ الْخَاطِئُ يُشْبِهُ طِفْلًا يَتِيمًا لَا أَبَ لَهُ. وَلِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّنَا، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ أَبًا سَمَويًّا لَنَا. وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُخَلِّصَنَا مِنْ عُبُودِيَّةِ الْخَطِيئَةِ. لِذَلِكَ فَقَدْ جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْأَرْضِ لِيَنْزِعَ شَوْكَةَ الْخَطِيئَةِ مِنْ خَاصِرَةِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ وَيُعْطِينَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَقَدْ جَاءَ أَيْضًا لِيُعْطِينَا سَلَامًا وَفَرَحًا حَقِيقَيْنِ. وَقَدْ جَاءَ أَيْضًا لِكَيْ يُصَالِحَ الْإِنْسَانَ مَعَ خَالِقِهِ وَيُعِيدَهُ إِلَى الشَّرَكَةِ الْحُلُوةِ مَعَهُ.

وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَلَدَتْ الْمُطُوبَةُ مَرِيَمُ يَسُوعَ، وَقَمَطَتْهُ، وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمَدُودِ. وَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ أَعْظَمَ هَدِيَّةٍ وَعَطِيَّةٍ قَدَّمَهَا اللَّهُ الْآبُ لِلْعَالَمِ. فَمِنْ خِلَالِ ذَلِكَ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ، كَانَ اللَّهُ الْآبُ يُقَدِّمُ لِلبَشَرِ جَمِيعًا الْحَلَّ لِجَمِيعِ مُشْكَلاتِهِمْ. لِذَلِكَ لَا عَجَبَ أَنْ الْمَلَائِكَةَ تَرْتَمَّتْ فِي تِلْكَ

اللَّيْلَةَ الْعَظِيمَةَ. فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، عَبَّرَ اللهُ عَنِ مَحَبَّتِهِ لِلْعَالَمِ بِطَرِيقَةٍ فَرِيدَةٍ وَمُمَيَّرَةٍ حَقًّا. وَقَدْ اخْتَرَقَ نُورُ يَسُوعَ ظِلْمَةَ الْعَالَمِ فَبَدَّدَهَا. وَبَعْدَ وُصُولِ تِلْكَ الْهَدِيَّةِ إِلَى الْأَرْضِ، بَقِيَ السُّؤَالُ الَّذِي يَطْرَحُ نَفْسَهُ هُوَ: مَنْ مِنَ الْخُطَاةِ وَالْمَأْسُورِينَ وَالْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ سَيَمُدُّ يَدَهُ وَيَقْبَلُ تِلْكَ الْهَدِيَّةَ مِنْ يَدِ اللهِ الْحَيِّ؟

وَكَمَا قَرَأْنَا فِي الْحَلْفَةِ السَّابِقَةِ، يَا أَحِبَّائِي، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الرُّعَاةَ رَأَوْا مَلَكَ الرَّبِّ. وَقَدْ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ مَجْدُ الرَّبِّ فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. وَلَكِنَّ الْمَلَكَ قَالَ لَهُمْ مُطْمَئِنًّا: "لَا تَخَافُوا! فَهَذَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلَّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهَذِهِ لَكُمْ الْعَلَامَةُ: تَجِدُونَ طِفْلًا مَقْمَطًا مُضْجَعًا فِي مَدْوَدٍ". وَظَهَرَ بَعَثَهُ مَعَ الْمَلَكَ جُمُهورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: "الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ".

وَفَجْأَةً تَلَاشَى كُلُّ خَوْفٍ مِنْ قُلُوبِ الرُّعَاةِ إِذْ نَفَرُوا: "وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ الرُّجَالُ الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لِنَذْهَبِ الْآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرَ هَذَا الْأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمْنَا بِهِ الرَّبُّ». فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ، وَوَجَدُوا مَرِيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعًا فِي الْمَدْوَدِ".

وَمِنَ الْمُؤَكَّدِ، يَا صَدِيقِي، أَنَّ الرُّعَاةَ لَمْ يَفْهَمُوا كُلَّ أَسْرَارِ الْمَحَبَّةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُنْمَثَلَةِ فِي ذَلِكَ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ. وَهَذِهِ هِيَ حَالُنَا نَحْنُ أَيْضًا بَعْدَ نَحْوِ أَلْفِي سَنَةٍ مِنْ تِلْكَ الْحَادِثَةِ. فَنَحْنُ لَا نَفْهَمُ تَمَامًا أَعْمَاقَ مَحَبَّةِ اللهِ! وَلَكِنْ بِالرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ فَهْمِ الرُّعَاةِ لِكُلِّ الْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي تَجَسَّدَتْ فِي الطِّفْلِ يَسُوعَ، فَإِنَّا نَقْرَأُ عَنْهُمْ فِي الْأَصْحَاحِ الثَّانِي مِنْ إِنْجِيلِ لُوقَا: "ثُمَّ رَجَعَ الرُّعَاةُ وَهُمْ يَمَجِّدُونَ اللهَ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ". وَلَا شَكَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الرُّعَاةَ أَخَذُوا الْقَرَارَ الصَّحِيحَ عِنْدَمَا جَاءُوا لِرُؤْيَا الطِّفْلِ الَّذِي بَشَّرَهُمْ بِهِ الْمَلَكَ. فَقَدْ كَانَ بِإمكانِهِمْ أَنْ يَتَّجَاهَلُوا مَا سَمِعُوهُ وَمَا رَأَوْهُ، وَأَنْ يَعُودُوا إِلَى رَعْيِ الْغَنَمِ. وَلَكِنَّهُمْ صَدَّقُوا مَلَكَ الرَّبِّ وَجَاءُوا "مُسْرِعِينَ" فِي تَعْبِيرِ حَقِيقِي عَنْ قَبُولِهِمْ هَدِيَّةَ اللهِ لَهُمْ.

وَسْؤَالِي لَكَ، عَزِيزِي الْمُسْتَمِعِ، هُوَ: هَلْ قَدَّمْتَ يَوْمًا هَدِيَّةً إِلَى شَخْصٍ مَا فَرَضَ قَبُولَهَا؟ وَلِنَتَخَيَّلَ مَعًا أَنْ زَوْجًا أَرَادَ أَنْ يُعْبَرَ عَنْ حُبِّهِ الشَّدِيدِ لِزَوْجَتِهِ فَأَحْضَرَ لَهَا هَدِيَّةً قِيَمَةً كَلْفَتُهُ الْكَثِيرَ مِنَ الْجُهْدِ وَالْمَالِ. وَلَكِنَّ زَوْجَتَهُ لَمْ تُبَالِي بِالْهَدِيَّةِ، بَلْ رَفَضَتْ حَتَّى أَنْ تَفْتَحَهَا. وَبِالرَّغْمِ مِنْ مُحَاوَلَاتِهِ الْعَدِيدَةِ لِإِقْنَاعِهَا بِقَبُولِ الْهَدِيَّةِ، فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ بَقِيَتْ فِي مَكَانِهَا دُونَ أَنْ تَلْقَى اهْتِمَامًا مِنَ الزَّوْجَةِ الْعَنِيدَةِ!

إِنَّ هَذَا مَوْقِفٌ يَكْسِرُ الْقَلْبَ حَقًّا! فَنَحْنُ أَمَامَ شَخْصٍ يُحَاوِلُ أَنْ يُعْبَرَ عَنِ مَحَبَّتِهِ وَاهْتِمَامِهِ بِشَتَّى الطَّرِيقِ. وَلَكِنَّا أَيْضًا أَمَامَ شَخْصٍ آخَرَ يَرْفُضُ ذَلِكَ الْحُبَّ بِعِنَادٍ شَدِيدٍ! وَهَذَا يُشْبِهُهُ إِلَى حَدِّ مَا مَا حَدَّثَ فِي قِصَّةِ مِيلَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. فَقَدْ أَرَادَ اللهُ الْأَبُّ أَنْ يُعْبَرَ لَنَا عَنْ مَحَبَّتِهِ الشَّدِيدَةِ بِأَنْ تَجَسَّدَ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِنَا فِي هَيْئَةٍ بَشَرِيَّةٍ أَيَّ فِي هَيْئَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَلَكِنَّ أَناسًا كَثِيرِينَ رَفَضُوا هَدِيَّتَهُ. وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْعِنَادَ الَّذِي يُظْهِرُهُ كَثِيرُونَ يَكْسِرُ قَلْبَ اللهِ

المُحِبِّ. فَقَدْ كَانَ مَجِيءُ يَسُوعَ إِلَى الْأَرْضِ تَضْحِيَةً كَبِيرَةً وَعَظِيمَةً قَامَ اللَّهُ بِهَا لِأَجْلِنا لِأَنَّهُ يُحِبُّنا. وَلِأَنَّ خِلاصَ الْإِنْسَانِ يَتَوَقَّفُ عَلَى قَبُولِ هَذِهِ الْهَدِيَّةِ، فَإِنَّ عَدَمَ قَبُولِ الْإِنْسَانِ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ يَكْسِرُ قَلْبَ اللَّهِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ الْجَمِيعَ يَخْلُصُونَ وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يَقُولُونَ.

وَالْعَجِيبُ فِي الْأَمْرِ كُلُّهُ هُوَ أَنَّ أَنْاسًا كَثِيرِينَ مِمَّنْ يَرْتَفِضُونَ قَبُولَ يَسُوعَ مُخْلِصًا لِحَيَاتِهِمْ يُحِبُّونَ الْإِحْتِفَالَ بِعِيدِ الْمِيلَادِ الْمَجِيدِ! فَهُمْ يُحِبُّونَ شَجَرَةَ الْمِيلَادِ، وَالزَّيْنَةَ، وَالْهَدَايَا، وَالْمَرَحَ، وَالْإِحْتِفَالَ. وَلَكِنَّهُمْ يَرْتَفِضُونَ قَبُولَ أَعْظَمِ هَدِيَّةٍ قَدَّمَهَا اللَّهُ الْعَلِيُّ لِلْإِنْسَانِ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ مَحَبَّتِهِ الْفَائِقَةِ لَهُ! وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ الرَّحِيمَ يَنْتَظِرُ الْإِنْسَانَ وَيُعْطِيهِ الْفُرْصَةَ تَلْوِ الْفُرْصَةَ لِقَبُولِهِ رَبًّا وَسَيِّدًا عَلَى حَيَاتِهِ.

وَيَجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَتَذَكَّرَ، يَا أَحِبَّائِي، أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الْبَشَرِ مُسَيَّرِينَ لَا مُخَيَّرِينَ. وَلَكِنَّهُمْ سَيَكُونُونَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَشْخَاصًا أَلْيِينَ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ. فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْعَلَاقَاتِ الَّتِي تُفْرَضُ عَلَى الْإِنْسَانِ رَغْمًا عَنْ أَنْفِهِ لَا قِيمَةَ لَهَا. لِذَلِكَ فَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ إِرَادَةً حُرَّةً. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ أَعْطَانَا حُرِّيَّةَ قَبُولِهِ أَوْ رَفْضِهِ. وَهَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تُضْفِي أَهْمِيَّةً عَلَى الْعَلَاقَاتِ. فَمَا نَفَعُ أَيَّ عِلَاقَةٍ غَيْرِ حَقِيقِيَّةٍ؟ فَلَا يُمَكِّنُ لِأَيِّ شَخْصٍ عَاقِلٍ أَنْ يَقْبَلَ مِنْ شَخْصٍ آخَرَ أَنْ يُحِبَّهُ رَغْمًا عَنْ أَنْفِهِ. كَذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُرِيدُنَا أَنْ نَعْبُدَهُ رَغْمًا عَنَّا، بَلْ يُرِيدُنَا أَنْ نَخْتَارَ ذَلِكَ طَوْعًا وَاخْتِيَارًا.

فَعِنْدَمَا كَسَرَ آدَمُ وَصِيَّةَ اللَّهِ، صَارَتْ هُنَاكَ فَجْوَةٌ كَبِيرَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَالِقِهِ. وَقَدْ صَارَ هُنَاكَ فَرَاغٌ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ لَا يُمَكِّنُ لِأَيِّ شَخْصٍ أَوْ شَيْءٍ أَنْ يَمْلَأَهُ. لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ فَرَاغٌ نَاجِمٌ عَنْ انْفِصَالِنَا عَنِ اللَّهِ الْحَيِّ. لِذَلِكَ فَإِنَّ النَّاسَ جَمِيعًا يُحَاوِلُونَ بِشَتَّى الطَّرِيقِ أَنْ يَمْلَأُوا هَذَا الْفَرَاغَ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ. وَلَكِنْ عَبَثًا. فَاللَّهُ هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي يُمَكِّنُهُ أَنْ يَمْلَأَ هَذَا الْفَرَاغَ الَّذِي نَشْعُرُ بِهِ فِي قُلُوبِنَا.

وَفِي عِيدِ الْمِيلَادِ الْمَجِيدِ، يُحَاوِلُ أَنْاسٌ كَثِيرُونَ أَنْ يَمْلَأُوا فَرَاغَ قُلُوبِهِمْ بِأُمُورٍ ثَانَوِيَّةٍ كَشَجَرَةِ الْمِيلَادِ، وَالزَّيْنَةَ، وَالْهَدَايَا، وَالطَّعَامَ، وَالزِّيَارَاتِ. وَلَكِنَّ هَذَا كُلُّهُ نَوْعٌ مِنْ خِدَاعِ الدَّاتِ. فَكُلُّ رَجَاءٍ لَا يَقُومُ عَلَى اللَّهِ الْحَيِّ هُوَ رَجَاءٌ زَائِفٌ. وَكُلُّ بَحْثٍ عَنِ الْفَرَحِ بَعِيدًا عَنِ اللَّهِ هُوَ بَحْثٌ بَاطِلٌ وَلَا يُجْدِي نَفْعًا. فَالْإِنْسَانُ قَدْ يَجِدُ السَّعَادَةَ فِي الْأَشْيَاءِ لَوْ قَتِ قَصِيرٌ فَقَط. أَمَّا السَّعَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَالْإِرْتِوَاءُ الْحَقِيقِيُّ فَلَا يُوجَدُ إِلَّا فِي شَخْصِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَحْدَهُ.

وَالآنَ اسْمَحْ لِي، صَدِيقِي الْمُسْتَمِعَ، أَنْ أَسْأَلَكَ: كَيْفَ تَحْتَفِلُ بِعِيدِ الْمِيلَادِ الْمَجِيدِ؟ هَلْ يَكُونُ ذَهْنُكَ مَشْغُولًا بِشَجَرَةِ الْمِيلَادِ، وَالزَّيْنَةَ، وَالْهَدَايَا؟ وَهَلْ تَنْسَى صَاحِبَ الْعِيدِ؟ إِنَّ شَوْقَ قُلُوبِنَا هُوَ أَنْ تُدْرِكَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةَ لِعِيدِ الْمِيلَادِ الْمَجِيدِ. وَصَلَاتُنَا لِأَجْلِكَ هِيَ أَنْ تَفْتَحَ يَدَيْكَ لِقَبُولِ أَعْظَمِ هَدِيَّةٍ قَدَّمَهَا اللَّهُ لِلْبَشَرِيَّةِ. أَجَلٌ يَا صَدِيقِي، فَاهُمْ قَرَارٌ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَأْخُذَهُ فِي عِيدِ الْمِيلَادِ الْمَجِيدِ هُوَ أَنْ تَقْبَلَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ رَبًّا وَمُخْلِصًا لِحَيَاتِكَ. وَكُلُّ مَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ هُوَ أَنْ تَسْمَحَ لِلَّهِ أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْكَ لِتَرَى الْهَدِيَّةَ الَّتِي قَدَّمَهَا لَكَ فِي شَخْصِ الطِّفْلِ يَسُوعَ قَبْلَ نَحْوِ أَلْفِي سَنَةٍ.

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّكَ، يَا صَدِيقِي! وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُبَارِكَكَ وَأَنْ يُعْطِيكَ حَيَاةً مُشْبِعَةً. وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّكَ لَنْ تَتِمَّكَ مِنَ الْعُثُورِ عَلَى هَذَا الشَّبَعِ وَهَذَا الْارْتِوَاءِ فِي هَذَا الْعَالَمِ. فَالْعَالَمُ يُرِيدُ أَنْ يُفْعَلَ بِأَنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجِدَ ضَالَتَكَ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَادِّيَّةِ. وَلَكِنَّ هَذَا الْكَلَامَ غَيْرُ صَاحِحٍ. وَبِالْمُقَابِلِ، فَإِنَّ يَسُوعَ يَقُولُ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا 10: 8: 10: "جَمِيعُ الَّذِينَ آتَوْا قَبْلِي هُمْ سَرَّاقٌ وَلُصُوصٌ، وَلَكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ. أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرَعَى. السَّارِقُ لَا يَأْتِي إِلَّا لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةً وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلٌ".

وَهَذَا يَعْنِي، صَدِيقِي الْمُسْتَمِعَ، أَنَّكَ أَمَامَ خِيَارَيْنِ: الْأَوَّلُ هُوَ أَنْ تُصَدِّقَ يَسُوعَ، وَالثَّانِي هُوَ أَنْ تُصَدِّقَ إِبْلِيسَ. وَلَكِنَّ إِنْ لَمْ تُصَدِّقَ يَسُوعَ وَتَقْبَلَهُ رَبًّا وَمُخْلِصًا لِحَيَاتِكَ، فَإِنَّ هَذَا يَعْنِي تِلْقَائِيًا أَنَّكَ عَبْدٌ لِإِبْلِيسَ. وَإِنْ كَانَ إِبْلِيسُ هُوَ السَّيِّدُ عَلَى حَيَاتِكَ، أَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْرِقُ الْبَرَكَةَ مِنْ حَيَاتِكَ. أَمَّا يَسُوعُ فَيَقُولُ لَكَ إِنَّهُ يَذْخُرُ لَكَ حَيَاةً أَفْضَلَ. فَهُنَاكَ عِلَاقَةٌ رَائِعَةٌ تَنْتَظِرُكَ مَعَ اللَّهِ الْحَيِّ الْمُحِبِّ. وَهُنَاكَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ تَنْتَظِرُكَ مَعَهُ أَيْضًا.

وَيَبْغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ، عَزِيزِي الْمُسْتَمِعَ، أَنَّ الْحَيَاةَ الْفَيَّاضَةَ الَّتِي يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَمْنَحَكَ إِيَّاهَا هِيَ بِالْمَجَّانِ. وَمَعَ أَنَّكَ تَحْصُلُ عَلَيْهَا مَجَّانًا، فَإِنَّهَا كَلَّفَتْ اللَّهَ كُلَّ شَيْءٍ. فَلِكِّي يُعْطِيكَ الرَّبُّ يَسُوعُ هَذِهِ الْحَيَاةَ الرَّائِعَةَ مَعَهُ، كَانَ لَا بُدَّ أَنْ يَتَوَاضَعَ، وَأَنْ يَأْتِيَ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ بِوَصْفِهِ طِفْلًا قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ رَجُلًا، وَيَتَأَلَّمَ، وَيَمُوتَ عَلَى الصَّلِيبِ لِأَجْلِكَ. لِذَلِكَ فَإِنَّ الرَّسُولَ يُوحَنَّا يَقُولُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى 5: 11 و 12: "وَهَذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ اللَّهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهَذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ. مَنْ لَهُ الْإِبْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنٌ اللَّهُ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ".

لِذَلِكَ، هُنَاكَ خَبْرٌ سَارٌّ يَنْتَظِرُكَ. وَالْخَبْرُ السَّارُّ هُوَ أَنَّ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْأَرْضِ لِأَنَّهُ يُحِبُّكَ. وَهُنَاكَ هَدِيَّةٌ قِيَمَةٌ جَدًّا مِنَ اللَّهِ بَانْتِظَارِكَ. فَهَلْ سُنْدِيرُ ظَهْرِكَ لِلَّهِ وَتَرْفُضُ هَدِيَّتَهُ؟ وَهَلْ سَتَبْقَى تَعِيشُ فِي الظُّلْمَةِ وَالْيَأْسِ وَالشَّقَاءِ؟

إِنَّهُ مِنَ الْمُحْزَنِ حَقًّا أَنْ نَقْرَأَ فِي الْإِنْجِيلِ أَنَّ الطِّفْلَ يَسُوعَ لَمْ يَجِدْ مَكَانًا لَهُ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَلَا فِي هَذَا الْعَالَمِ. وَلَكِنَّ مَا يُحْزَنُ الْقَلْبَ أَكْثَرَ هُوَ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مَكَانٌ فِي قَلْبِكَ وَحَيَاتِكَ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ قِصَّةَ الْمِيلَادِ لَا تَنْتَهِي بِمَوْلِدِ يَسُوعَ، بَلْ تَبْدَأُ مِنْ هُنَاكَ. فَالَّذِي كَتَبَ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَلَى صَفْحَاتِ التَّارِيخِ يُرِيدُ أَنْ يَكْتُبَ قِصَّةَ حُبِّهِ الْعَجِيبِ عَلَى صَفْحَاتِ قَلْبِكَ وَحَيَاتِكَ.

لِذَلِكَ فَإِنَّ صَلَاتِنَا لِأَجْلِكَ هِيَ أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّةَ اللَّهِ، وَأَنْ تَسْمَحَ لِيَسُوعَ أَنْ يَدْخُلَ قَلْبَكَ وَيُغَيِّرَ حَيَاتَكَ إِلَى الْأَبَدِ؟ فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَقْبَلَهُ الْآنَ، صَلِّ مَعِي: "أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ. لَقَدْ تَعَبْتُ مِنْ مَحَاوَلَةِ إِدَارَةِ سَفِينَةِ حَيَاتِي بِنَفْسِي. لِذَلِكَ فَإِنِّي فِي حَاجَةٍ مَاسَةً إِلَيْكَ وَإِلَى غُفْرَانِكَ وَخَلَاصِكَ. تَعَالِ، مِنْ فَضْلِكَ، وَكُنْ رَبًّا وَسَيِّدًا عَلَى حَيَاتِي". آمِينَ!

[الخاتمة]

(مُقَدِّم البرنامج)

كَانَ هَذَا هُوَ الْجُزْءُ الثَّالِثُ وَالْأَخِيرُ مِنْ قِصَّةِ مِيلَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَعِنْدَمَا نَتَأَمَّلُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا يَسُوعُ، يُمَكِّنُنَا أَنْ نَلْمَسَ السَّكِينَةَ الَّتِي عَمَّتِ الْكَوْنُ كُلَّهُ آنَذَاكَ! فَسَلَامُ اللَّهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلِ تَلَامَسَ مَعَ الْبَشَرِيَّةِ وَغَيَّرَ مَسَارَ حَيَاتِنَا إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. وَكَمَا رَأَيْنَا مَعًا، فَإِنَّ وِلَادَةَ يَسُوعَ لَمْ تَكُنْ صُدْفَةً. فَقَدْ جَاءَ يَسُوعَ الْمَسِيحُ إِلَى الْعَالَمِ تَنْمِيمًا لِلنُّبُوءَاتِ. وَقَدْ كَانَ مَجِيئُهُ إِلَى الْأَرْضِ جُزْءًا رَئِيسِيًّا مِنْ خُطَّةِ اللَّهِ الْآبِ لَنَا لِلتَّمَتُّعِ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ مَعَهُ.

وَأخِيرًا، نَشْرُكُكُمْ، أَعِزَّاءَنَا الْمُسْتَمْعِينَ، مَعَ كَلِمَةِ خِتَامِيَّةٍ مِنَ الرَّاعِي "تَشْكُ سَمِيثُ":

الرَّاعِي "تَشْكُ سَمِيثُ"

هُنَاكَ، يَا أَحِبَّائِي، مَنْ يُجَادِلُونَ قَائِلِينَ إِنَّ يَسُوعَ لَمْ يُوَلَدِ فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ. وَهُنَاكَ مَنْ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَا يَلِيْقُ بِنَا أَنْ نَحْتَفِلَ بِعِيدِ الْمِيلَادِ الْمَجِيدِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَذْكُورًا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّنَا نَحْتَفِلُ بِعِيدِ الْمِيلَادِ الْمَجِيدِ لِسَبَبٍ آخَرَ غَيْرِ شَجَرَةِ الْمِيلَادِ وَالْمَغَارَةِ وَالزَّيْنَةِ. فَحَنُ نَحْتَفِلُ بِهِ لِكِي نَتَذَكَّرَ مَحَبَّةَ اللَّهِ لَنَا. فَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ يُحَدِّثُنَا عَنْ مَجِيءِ يَسُوعَ إِلَى الْعَالَمِ لِكِي يُفْدِينَا مِنْ لَعْنَةِ الْخَطِيئَةِ. لِذَلِكَ، نَرْجُو مِنْ أَعْمَاقِ قُلُوبِنَا أَنْ تُرَكِّزَ، يَا صَدِيقِي، لَا عَلَى مَظَاهِرِ هَذَا الْعِيدِ، بَلْ عَلَى صَاحِبِ الْعِيدِ أَيَّ عَلَى يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِكِي يَمُوتَ عَنْكَ وَيُعْطِيكَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً مَعَهُ إِنْ آمَنْتَ بِهِ. آمِينَ!